الجهاد المقدس

للاستاذ الشيخ عبد الواحد الانصاري
(صاحب مجلة الميزان)

تمتاز ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين « ع » بين ذكريات ابطال الدهر ، وعظماء التأريخ بكثير من الروعة والقدسية ، وتحيط تاريخ حياته هالة من المجد والعز والجلال يحفظ التأريخ الاسلامي بين طياته ذكرى أئمة كرام كلهم بنظر العقيدة والايمان سواء في العلم والزهد واليقين والتقوى ، الا ان الحسين « ع » بجهاده المعروف وتضحيته الكبرى في سبيل الحق والدين والحرية كانت له مكانة أسمى .

ولا اجدني مغالياً اذا قلت ان شخصية الحسين العظيمة قد غطى شعاعها شخصيات الدنيا بأسرها . فالذي لا يدينون بالقرآن ولا يمتون الى الاسلام بصلة ما ، من الامم المتفرقة الاديان ، المختلفة المبادئ عندما يقفون امام شخصيته تمتلكهم الروعة ، فيقفون خاشعين معظمين مكبرين في نفسية الحسين المقدسة ، روح الاقدام والثبات والمبدأ واليقين .

اية علاقة — ايها السادة — للوثنيين والهندوس والصين واضرابهم بالحسين عليه السلام . ؟ وهم يحيون ذكراه بكثير

(١) القاها في الليلة الثالثة الاستاذ حاتم السامرائي

الامة من شر الانقسام . وفتن العصبيات المردية ، ومعاطب الحميات المهلكة ؛ وان الصراع العنيف بين الحق الذي استشهد هو واصحابه في سبيل اعلاء رايته ؛ الخفاقة ؛ وبين سياسة القوة الوحشية التي سار على دستورها الاعياص والعنابسة من ابناء عبد شمس . كان مستحكم الحلقات من عهد نصير الوثنية ابي سفيان ؛ إلا ان فيوضات النهضة الحسينية المباركة لا تزال عنوان تأريخ العروبة والاسلام ؛ والصفحة التي تشع بالنور في سجل الاحرار ، وان ذكرى هذه النهضة ستبقى على الليال عبقة فواحة الشذى في نفوس المؤمنين امثالكم من اتباع الحسين عليه السلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بغداد — توفيق الفكيكي

من الحزن والاسى والانفاق ، عدا اعجابهم بالنفسية الحسينية.

إذن ! فالحسين « ع » محبوب العالم ، وذكراه تحتل الصفحة الاولى من سجل الذكريات الخالدة ، ولو مد الله في عمر الدهر والانسان الى ماشاء . تشاهد الاجيال القادمة تردد صدى القرون السالفة الداوية بذكراه المجيدة.

جدير بنا ونحن نقيم هذه الذكرى المباركة ان نزيل عن الاذهان ماغرسته فيها يد الدعايات الأموية من التشويه والتمويه ، لستر ماقترفته امية من الجرائم والآثام في دنيا الاسلام . تلك الدعايات السيئة التي روجتها الاغراض ونشرتها السياسة الأموية الغاشمة ، والتي أثرت اثرها السيء في نفوس بعض المسلمين ؛ واصبح كثير منهم لايفهم من وقعة الطف اكثر من أنها قصة مأساة وامية قد لايعقل اكثر ماوقع فيها من القسوة والوحشية ، وربما جرفه سيل الدعاية المعاكسة للحقيقة ، فالقى تبعة هذه المأساة على عاتق الحسين « ع » لنهوضه ضد دولة غنية بالمال والسلاح ولاعراضه عن رأي المشيرين عليه بالسكون والتريث والابتعاد عن الكوفة ، التي غدرت بابيه واخيه من قبل اتراه لم يستمع الى التاريخ ويتبصر في الواحه التي تكشف له باقل امعان استار الباطل التي اسدلت على وجه الحقيقة ، لكي تغطي فضائح أمية واثامها ؟ . كلا بل هو البصير العليم بها .

ولو تابع درس التاريخ وراقب بكل دقة اعمال اليده السوداء التي اسعرت الحروب ونشرت الرايات وخاضت المعارك ضد سلطان الدين ودعوة الاسلام.. في بدر واحد والاحزاب تلك اليد التي جذتها سيوف المسلمين يوم الفتح كيف راحت تداوي جرحها ببلسم الايمان الكاذب ، تحت ستار التدليس في ظل الاسلام ؟! وكيف عادت تعمل في الخفاء بأسم الاسلام للقضاء عليه؟! باسم الدين لقلب نظامه واحكامه وكيف كانت تدبر الحيل وتحوك المؤامرات ، لبعث الجاهلية من جديد ؟ !

ومن تابع حركات تلك أليد السوداء وجدها تعمل بكل حذر وتكتم في عهد الخليفتين — الصديق والفاروق « رض » وكيف امتدت وتطاولت بعد مضي ست سنين من خلافة عثمان حتى قبضت على زمام الامور وقياد الخلافة ، وصيرت الخليفة آلة صماء تدبره حيث شاءت وحيث رغبت ، وحيث تحقق آمالها وامانيها ، دون ان تلتفت الى ماستجره على الخليفة من

المصائب والويلات . ويرى بكل وضوح تلك اليـد تفتح باب الشر على مصراعيـــه ، وتضحي على فخرة آماله حياة ثالث الخلفاء ، تتخذ من دمه وسيلة تبعث الرعب ، وتغرس الفتن في صفوف المسلمين .

ايها السادة :ـ لم تكن اعمال تلكم اليد السوداء لتخفى على دعاة الدين وقادة الرأى وحملة القرآن ولم يكن الناطق بالحق والمبعوث رحمة للعالمين ان يلعن امية وقادة الكفر منها على رؤس الاشهاد ، الا ليظهر للملأ الذين حوله ان هؤلاء المغرضين لم يعتنقوا الاسلام بدافع العقيـدة ، ولم يعترفوا به الا خوفاً من حراب المسلمين ، والا ليقول لاصحابه ، ان اليد الاموية التي اعتدت عليكم بالامس سوف تعود وتلعب دوراً مخرباً لقلب الدين ، وبعث الجاهليـة التي محتها احكام القرآن فقال « ص » اللهم العن مروان ومن يخرج من صلبه الى يوم القيامة ، الا المؤمنين منهم وقليل هم ـ

فلم تزل تلك اليد الملطخة بالدماء الزكية في سبيل تحقيق اهـدافها واغراضها حتى انتهى الامر الى معاوية بذلك الشكل المؤسف على تلك الصورة السوداء في جبين التأريخ وتمكن معاوية من قتل الحسن « ع » شقيق الحسين الاكبر خامس الخلفاء الراشدين .

راح معاوية بكل جد ونشاط يسعى الى تحقيق آمال جده الفاشلة ، فسلط على رقاب المسلمين نفراً لاناقة لهم ولاجمل في الاسلام ، وقـد وصفهم التأريخ بالبطش وسفك الدماء ، وعرفهم جمهور المسلمين بالكفر ، والبغي والعدوان . كزياد ابن ابيه ، وولده عبيد الله ، وبسر بن ارطاة ، والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، واضرابهم من قساة الولاة ، وقادة الجور وشاربي دماء الاحرار . فقضوا بسيوف البغي ، واموال المسلمين على دعاة الاصلاح من المؤمنين . حتى لقد قال اشد الناس عصبية لامية ودولة امية ـ انيس النصولي ـ في كتابه [الدولة الاموية في الشام] ذلك الكتاب الذي احدث ضجة كبرى في الاوساط الاسلاميـة فطرد على اثره المؤلف المذكور من التدريس في العراق ـ يقول في ص ٩ من الكتاب المذكور » ؟ ـ غرم معاوية بل ابي سفيان غراماً اكيداً طيلة حياته على استئصال شأفة المعارضين للمركزية الاموية ، فبذل الاموال ووهب المناصب وجيش الجيوش ونظم فرق الجواسيس والشرطة في طول البلاد وعرضها ، وقطع السنة الناس والشعراء ؛ بحلمه ودهائه وكرمه : وقال في ص ١٤٥ ـ : [اسند الامويون ولاية المصرين الكوفة والبصرة الى رجال قساة لايعرفون الرحمة ولا تتخلل الشفة الى قلوبهم فاتبعوا سياسة الشدة بحذافيرها ؛ وراحوا يتهمون الناس على الظن ، فجردوا السيف على الرؤس واعملوا السوط في الظهور وجعلوا السجن مقبرة الزعماء والمعارضين] ثم يستطرد بقوله:

[ولو تصفحنا تأريخ الولاة الامويين في العراق امثال زياد بن ابيـه ، وعبيـد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، وغيرهم لتحققنا ان ملاك بني امية لم يقم الا على سيوفهم ، ولم تتوطد اركانه الاعلى اسنتهم .] انتهى مايقوله داعية الامويين في القرن العشرين ـ انيس النصولي ـ بعد ان قضى معاوية على دعاة الحق وزعماء الدين كحجر به عدي وحـذيفة بن اليمان ، وميثم التمار ، ورشيد الهجري ، وعمرو بن الحمق الخزاعي اصبح في مامن من المعارضين المخلصين الامن الحسين بن علي « ع » والحسين يقظ حريص على صالح الانسانيـة يراقب حركات تلك اليد العاتية مراقبة شديدة ؛ لحرصه على مصالح الدين وشؤون الاسلام فعزم معاوية باغراء المغيرة بن شعبة على تحقيق آمال سلفه بصورة سريعة فعالة ؛ فنصب ولده المنهتك بالفسق والفجور ولياً للعهد وترقب ساعة الانقلاب والقضاء على تعاليم الاسلام ؛ فنشط في الشام والعراق والحجاز ومصر صنائع امية وراحوا يحرضون الناس على البيعة ليزيد ، ويغرون الناس بذهب المسلمين . ومن بيوت اموالهم ، التي فتحت ابوابها لارشاء ذوي الاطماع ، ومن سوء حظ الدعاية الاموية انها لم توفق على رغم من جهاده ان تمحو ما اقترفه معاوية في هذا الشأن من المخازي ، يقول به الاثير في الجزء الثالث من الكامل ص ١٩٨ ان معاوية كان يستقبل الوفود التي ترد عليه لاعطاء البيعة ليزيد ، وقد سأله رئيس وفد الكوفة بكم اشترى ابوك دين هؤلاء . ؟ يريد اعضاء الوفد . فاجابه بكـذا درام ودنانير فقال له لقد وجد دينهم رخيصاً .

فعلى هذا الشكل المضحك المبكي تمكن معاوية من جعل يزيد ولياً للعهد من بعده .. يزيد الذي لم يرتضيه حتى صنيعته زياد بن ابيه .

سادتي : ـ عقـد تلك اليد الاموية السوداء في تلك